

الزوايا بمنطقة البويرة: "دراسة تاريخية وأثرية"

أ. محمودي ذهبية*

تمهيد:

تعتبر الزوايا معالم حضارية وثقافية كونها مؤسسات اجتماعية، وخيرية، وتعليمية، ووعظية، وخزائن للكتب والتراث، ومعقل لتحصين الرجال، وتدريبهم على الجهاد، ومقارعة المعتدين، حيث أشرف عليها رجال صلحاء ثقة ومتصوفة عضات، ولقد كان لمنطقة البويرة* نصيب من هذه المنشآت التي انتشرت في كامل تراب المنطقة، منها ما يزال قائما إلى يومنا هذا تقوم بنفس الوظائف التي تقلدتها في الماضي ومنها ما دمر من طرف المستعمر الفرنسي للدور الفعال الذي لعبته في عملية الجهاد وتحرير البلاد.

إن تاريخ الزوايا بالبويرة يعود إلى القرن السابع الهجري حوالي سنة 862هـ/1457م، حيث تعتبر زاوية قرومة أقدم زاوية بهذه المنطقة، إضافة إلى زاوية سيدي خالد وزاوية الرابطة وزاوية سيدي عبد العزيز، هذه النماذج التي لا تزال تحفظ لنا بعض المميزات المعمارية والأثرية لهذه المعالم والتي تعود إلى الفترة العثمانية. إن موقع هذه الزوايا جعلها اليوم عرضة للخراب والدمار لتورع الناس عن زيارتها بسبب الإرهاب الأعمى، حتى أن عملية تنقلنا إليها للقيام بالدراسة الميدانية لم يكن بالأمر الهين، مما جعلنا في كل مرة نؤجل ذلك، حيث استطعنا من خلال الدراسة الأثرية أن نقف على بعض المميزات العامة لهذا النوع من المعالم.

الجدير بالذكر أنه في الآونة الأخيرة بدأ التفكير بجديّة لإعادة الاعتبار لهذه المعالم بترميمها والحفاظة عليها على الأقل كموروث مادي يؤرخ لفترة تاريخية معينة.

أ-زاوية سيدي خالد:

*أستاذة مساعدة جامعة الجزائر 2

تقع هذه الزاوية ببلدية واد البردي الواقعة جنوب شرق ولاية البويرة، حيث تبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 12 كم، وهي تقع على هضبة مرتفعة نسبيا إذ يمكن مشاهدتها بمجرد الدخول إلى تراب البلدية.

*الجانب التاريخي:

الزاوية تنتسب إلى شيخها ومؤسسها الأول: "سيدي خالد" الذي يروي عنه الأوائل انه أتى من الساقية الحمراء** من المغرب الأقصى، استقر بهذه المنطقة ليتفرغ لعبادة الله وخدمة الشريعة الإسلامية، حيث يحكى عن هذا الرجل الصالح انه رجل تقي، عرف بكراماته وكثرة أعماله السديدة، جعلت كل من يعرفه، إلا ويأتي لزيارته متى سنحت له الظروف، تواجد الرجل أثناء الفترة العثمانية، هذا ما استقيناه من أفواه بعض أعوان المنطقة الذين زودنا احدهم بشجرته العائلية، التي جاء فيها مايلي: الربيع بن خالد بن علي بن عبد الله بن السعدي بن يوسف بن السعيد بن خالد بن علي بن عبد الله بن أبي زيد بن خالد بن عبد الكريم بن زكريا بن علي بن عمران بن خالد بن يحيى بن زكريا بن عبد المولى بن بوعافية بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف بن سليم بن احمد بن يحيى بن إدريس الأكبر بن إدريس الأصغر بن عبد الله الكامل بن محمد بن الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، ومن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم تسليما) ⁽¹⁾

لعبت الزاوية دورا كبيرا أثناء التواجد العثماني، حيث كانت وجهة الراغبين في حفظ كتاب الله وتعلم مقاصد الشريعة إلى غاية الوجود الفرنسي، حيث ذكرت بعض المراجع أن أولاد سيدي خالد قاموا بهجرة جماعية إلى سوريا مخلفين وراءهم 2600 هكتار من الأراضي، تنازلوا عنها لقبيلة عريب، غير أنه رجع جزء منهم إلى الجزائر بتاريخ 1861م ⁽²⁾.

تسلم في هذه الأثناء مقاليد الزاوية الشيخ "عزيز يونسى بن قويدر الخالدي"، الذي عرف هو الآخر بحفظه للقرآن الكريم وحكمته في حل الخصومات الأسرية المعقدة ونزاعات أخرى بين المتخاصمين، وافته المنية أثناء الثورة التحريرية فخلفه الشيخ "محمد علي الزموري"، الذي قتل على يد الجيوش الفرنسية، وفي هذه الأثناء توقفت مسيرة الزاوية إلى أن استعاد الشعب الجزائري حريته وعزته المسلوبتين.

بعد الاستقلال مباشرة استأنفت الزاوية نشاطها بنظام خارجي لكل الطلبة، وقد تداول عدة شيوخ لتسيير الزاوية خلال هذه الحقبة منهم الشيخين: "أحمد العربي" و"قاسمي السعيد" من قصارة بآب عزيز، والشيخ "إبراهيم ملوك" ابن المنطقة والشيخ "يونس الخضر".

اعتمدت الزاوية النظام الداخلي يوم الجمعة 1986/01/31م بمشيخة الشيخ "السعيد العارفي"، الذي كان له الفضل الكبير بعد الله في تسيير شؤون الزاوية خلال هذه الفترة بعده تداول على هذا المنصب كل من الشيوخ: باديس سليمان، بورحلة بلقاسم، عبد الحفيظ علو، حسين تواتي، محمد بوعلي، تتلمذ على يد هؤلاء طلبة حفظ القرآن الذين واصلوا دراساتهم بمعاهد تكوين الإطارات الدينية فتخرج منهم أئمة مدرسون ومعلمو القرآن الكريم وقيمون. توقف نشاط الزاوية مرة أخرى أثناء العشرية السوداء، حيث داهمتها مجموعة إرهابية بتاريخ 1994/12/16م، فاستولت على كل ما تملكه الزاوية من أثاث وكتب، وبقيت خاوية على عروشها إلى غاية الاثنين 17/جمادي الأول/1425هـ يوم ولد خير البرية محمد (صلى الله عليه وسلم) الموافق ل 2004/07/05م عيد استرجاع العزة والكرامة⁽³⁾

*الوصف الأثري:

الجانب المعماري لزاوية "سيدي خالد" عبارة عن مجموعة من الملاحق، كانت ضرورية لتقوم الزاوية بدورها الكامل المنوط بها، حيث نلاحظ أن الضريح محاط بثلاث منشآت ومن جميع الجهات .
غرفة الضريح ذات شكل مربع، يقع مدخلها الرئيسي في الجهة الغربية، حيث يتوسط الجدار المزاد بنافتين معقودتين، ارتفاع كل واحدة منهما 0.77م وعرضها 0.32م، في حين بلغ عمقها حوالي 0.55م، مؤطرة من الداخل بإطار خشبي.

أما المدخل الرئيسي فارفعاه 1.96م وعرضه 1.20م، زود بباب حديدي تم تجديده مؤخرا، هذا ما صرح لنا به القائم على الضريح، هذا المدخل يضيف بنا إلى غرفة مستطيلة خالية من الزخارف طولها 5.40م وعرضها 2.35م، سقفها مائل، تم أيضا تجديده ومن خلال الشكل يبدو أن الغرفة في السابق كانت عبارة عن ظلة لمدخل الضريح.

يقابل هذا المدخل، مدخل الضريح الثانوي، الذي له نفس القياسات مع المدخل الرئيسي حيث يؤدي بنا هذا الأخير إلى غرفة مربعة الشكل يتوسطها ضريح "سيدي خالد" المغطى بصندوق خشبي منقوش بزخارف رائعة الجمال، وهذا الصندوق من المشغولات الحديثة، يبلغ طول ضلع الغرفة 5.40 م، زينت جدرانها بعقود حدوية منكسرة مرتكزة على أعمدة، حيث نلاحظ سمك عقود الزوايا الأربع يبلغ 1.19 م، أما البعد بين كل عمود وآخر حوالي 1.67 م، في حين منبت العقود عبارة عن شبه مربع سمكه حوالي 20 سم، قسمت هذه المساحة على ثلاثة أطر شكلوا زخرفة متميزة للعقد، كما لاحظنا أن حواف العقود وبداية من منبتها زينت ببلاطات خزفية ذات أشكال نباتية قوامها أزهار ومراوح نخيلية و أشكال تشبه الشمعة تنتهي شعلتها بحلال مقلوب، نفذت هذه الرسومات باللون الأزرق والبني والأصفر على خلفية بيضاء، أضفت على الغرفة صورة جمالية متميزة.

أما أرضية الغرفة الأولى فبلاطت ببلاطات كبيرة، طول كل ضلع منها 41 سم، وبلاطات الغرفة الداخلية عبارة عن زليج يبدو أنه يعود إلى فترة بعيدة، لأنه بدأ يفقد لمعانه وبريقه، فالأشكال التي نفذت عليه عبارة عن أشكال نباتية قوامها زهرة نهاية بتلاتها حادة، فهي تشبه نجمة ثمانية الأضلاع، رسمت باللون الأبيض لتضاعف نهايتها باللون الرمادي، أما مركز الزهرة أو البلاطة فنفذت فيه أشكال باللون الأسود تشبه كأس الزهرة بمعدل شكل في كل زاوية بالنسبة للبلاطة، حيث ينتهي كل شكل بنقطتين سوداوين.

قبة الضريح مثمثة الأضلاع ترتكز مباشرة على جدران غرفة الضريح المزودة بعقود حدوية ساعدت على حمل ثقل القبة، الغطاء النصف كروي للقبة بسيط وأملس من الداخل، لا يحتوي على زخارف ولا كتابات طول كل ضلع 2.10 م، فتح في إحدى أضلاعه شمسية معقودة مقابلة لمدخل الضريح، ونحن داخل الضريح لفت انتباهنا آثار غلق أو سد كوات معقودة، ربما كانت تستعمل للإنارة بواسطة الشموع، الجدير بالذكر أن استعمال القبة أصبح شائع الاستعمال على الأضرحة والزوايا في المغرب الإسلامي خاصة عند التونسيين الذين يعتبرونها من ملحقات الزوايا، إذ لا يمكنهم تصور قبة لا يكون تحتها ضريح ولي صالح⁽⁴⁾

بقي بجدران الزاوية آثار لزليج أستعمل في فترة سابقة عبارة عن أنصاف مراوح نخيلية مربوطة في الوسط على شكل حزمة بمعدل نصف مروحة في كل جهة، الفراغ الموجود بينهما سد بشكل كأس توج أعلاه

بھلال، أما الفراغ المتبقي على جانبي البلاطة فشغل بنصف زهرة تعلوها ورقة نباتية (الصورة: 41)،
(الشكل: 13).

- ملاحق الزاوية:

في الجهة الشمالية للضريح، توجد غرفة مستطيلة الشكل، طولها 13م وعرضها 3.35م كانت مخصصة لحفظ القرآن، أدخلت عليها تعديلات، حيث بقيت محافظة على سقفها الخشبي الذي عبارة عن شبكة من الأعمدة الخشبية الدائرية الشكل والقصب مربوطة بإحكام بواسطة حبال متينة، في الجهة الجنوبية دائما بالنسبة للضريح توجد غرفة بنفس قياسات الغرفة السابقة الذكر، كانت كمصلى آنذاك، حاليا قسمت إلى غرفتين، إحداهما مشغولة من طرف القائم على الضريح كمسكن له .

أما في الجهة الغربية فتوجد أيضا غرفة مستطيلة قياساتها (4.30 x 11.69)م² استعملت في وقت سابق كمخزن لحطب الجوز، وكل ما فيها من عريق الزكاة من طرف أهالي المنطقة، توجد غرفة أخرى أيضا مقابلة لها جددت عن آخرها .

الملاحق الثلاث ما تزال تحافظ على بعض الملامح المعمارية القديمة كشكل النوافذ المعقودة وكذا السقف ذو الشكل الجمولي، مغطى بقرميد يعود إلى القرن الثامن عشر إضافة إلى مادة البناء المتمثلة في الطوب المخلوط بحجارة مختلفة الأحجام.

غير بعيد عن الضريح و دائما في الجهة الشمالية، وعن بعد حوالي 30م توجد غرفة صغيرة جدا، ارتفاع جدرانها لا يتعدى 2م، هذه الغرفة كانت منزل أول الشيوخ الذين قاموا بتولي أمور الزاوية، بعد الشيخ سيدي خالد واسمه الشيخ "عزيز"، هذه الغرفة بها ملامح البيت الإسلامي في العصر الوسيط، كارتفاع الجزء الأعمق من الغرفة عن باقي الأرضية، حيث تستعمل هذه المساحة لوضع سرير النوم، فهي تشبه إلى حد كبير بعض المنازل الموجودة بتلمسان وبالضبط بدرب السلسلة، حيث أسعفنا الحظ وزرنا هذه المدينة خلال التبرص التطبيقي الذي قامت به دفعة الماجستير لسنة 2000م تحت إشراف الأستاذين الفاضلين "العرج عبد العزيز" و"المغفور" الأستاذ "علي حملاوي".

السقف يبرز لنا بصورة جيدة تقنية التسقيف التي كانت مستعملة آنذاك، فمواد التسقيف مواد محلية مختارة من المحيط، فهي عبارة عن نسيج من القصب والجبس والأعمدة، هذا من الداخل، أما من الخارج فسقف الضريح عبارة عن قبة وباقي الملاحق غطي سقفها بمادة القرميد ذو الشكل النصف أسطواني. مواد البناء عبارة عن مزيج من الحجارة المختلفة الأشكال مخلوطة بمادة الطوب، والجدير بالذكر أن المبنى برمته مدعوم من الخلف بدعامات مدمجة في حيطان ملاحق الزاوية، بغرض تمتين المبنى، هذه التقنية المعمارية استعملت في العديد من الأبنية القديمة، مثل جامع القيروان، والقصر الزيري بأشير وجامع المنصورة بتلمسان⁽⁵⁾.

ب- زاوية قرومة :

تقع زاوية قرومة، التي لم يبق منها اليوم سوى بعض الآثار، ببلدية قرومة الواقعة أقصى الشمال الغربي لولاية البويرة، وهي حاليا بلدية من بلديات دائرة الاخضرية مجاورة لبلدية تابلات التابعة لولاية المدية لقد كان لدوار قرومة صيت على مستوى الوطن الجزائر، حيث يذكره الشيخ "المهدي بوعبدلي" بمابيلي ((...أنهم كانت أعظام المراكز العلمية بدائرة باليسترز*** وقيل أنها من مؤسسات اللاجئين الأندلسيين، وقد أنجبت الكثير من العلماء، كما حل بها أفراد من أسرة المقرئ التلمساني الذين توارثوا العلم فيها إلى عهد الاحتلال الفرنسي ولم يفارق العلم هذه النواحي))⁽⁶⁾

* الجانب التاريخي:

- ورد في تقرير الجنرال "مارغوريت" بتاريخ 15/جويلية/1867م عن قرومة وفيه ذكر أربعة زوايا وهي:
- زاوية أولاد أحمد بن عبد الله وهي زاوية صغيرة لا يزال الدراسة بها سوى 20 طالبا أو تلميذا.
 - زاوية أولاد سيدي عبد الرحمان بن إبراهيم ولم يكن بها في تلك السنة سوى 08 من الطلبة و13 تلميذا.

* زاوية أولاد سي يحيى بن عبد الله التي غادرها الطلبة، ولم يبق منها سوى اثني عشر تلميذا.

* زاوية أولاد سيدي "علي بن دحمان" بقرومة وكان يدرس بها خلال سنة 1867م خمسة عشر تلميذا⁽⁸⁾.

نشير إلى أن هذا التقرير لم يقدم لنا أي توضيح عن تاريخ تأسيس تلك الزوايا، مما جعلنا نتساءل فيما إذا كانت تلكم الزوايا قائمة منذ القرن الثامن عشر الميلادي فقط، أم أنها كانت تنشط قبل هذا التاريخ، كونها لم تكن تضم في صفوفها خلال المرحلة الاستعمارية إلا القلة القليلة من طلاب العلم، نتيجة لما خلفته الحرب القائمة بين الجنرالات والمقاومين الجزائريين .

أما ما ورد في الوثائق التونسية فلا نجد سوى زاوية فرومة، التي كان على رأسها الشيخ "بن علال"⁽⁹⁾ عن تأسيسها جاء في تقرير أعده "وقاد احمد" رئيس جمعية قرومة في 2005/04/14م، جاء فيه أن تأسيس هذه المؤسسة العلمية يعود إلى القرن السابع الهجري أي سنة 862هـ/1457م من طرف شرفاء قدموا من الساقية الحمراء بعد تعرضهم للطرد بسبب الدمار الذي لحقهم من بن يعقوب بن أبي يوسف بن عبد الحق، سلطان المرينين من المغرب⁽¹⁰⁾.

سميت زاوية قرومة نسبة للعالم أبو عبد الله "محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم المولود سنة اثنتين وسبعين وستمائة 672هـ/ 1273 م و المتوفي بالمغرب بفاس في سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة 723هـ/ 1323 م له مقدمة الأجرومية في النحو، وقد شرح هذه المقدمة علي بن عبد الواحد الأنصاري رحمه الله، حيث قال: ((هذا الكتاب شرح الألفاظ مقدمة الشيخ الإمام النحوي أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الجرومي رضي الله عنه عرف بابن أجروم وقبره مع قبر الشيخ الخراز متجاوران مشهوران وشرح الشاطبة الكبرى شرحا عظيما ووضع هذا بقصد ليقرب له هذا العلم ويصونه عليه في صغره واختصرها من كتاب الزجاج، فنفع الله شرقا وغربا بما ووضع لها القبول كالألفية ببركة مؤلفها وأول من شرحها الشيخ "الشريف بن علي" الماكودي وكانا معا بفاس...))⁽¹¹⁾ .

ساهمت هذه المؤسسة التعليمية زمنا طويلا في نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم فكانت مؤسسة إدارية في عهد الأتراك، حيث كانت تقدم زكاة الحبوب لكاتب الباشا، الذي كان يمثله بالزاوية وبعد ذلك تقسم على الفقراء والمساكين وطلبة العلم، وإبان العهد الاستدماري تعرضت شرفة الظهرة، كما كانت تعرف لدى المستدمر إلى الدمار والتخريب وأخذت منها وثائق لا تحصى وعدد كبير من السندات⁽¹²⁾ .

جاء أيضا في تنفيذ قرار صادر عن مجلس الشيوخ الفرنسي المؤرخ في 22/04/1863 أن ((...شرفة الظهرة أو شرفة الشمال الأكبر، هي إحصاء للقبيلة الكبيرة لشرفة بني جعد التي تم تقسيمها لمنافع سياسية إدارية قرابة 1855م إلى قسمين معزولين بواسطة الجرى الأوسط لواد يسر ...))⁽¹³⁾. وفي هذه الفترة العصبية، فقدت الزاوية بريقها وصودرت جميع الأملاك الموقوفة عليها.

من أهم شيوخها "محمد بن علال"، الذي كان شيخا للزاوية حوالي 1170هـ/1757م، حيث كان يتردد على تونس رفقة خدم له ورفاق آخرين وذلك في عهد الباي محمد والباي علي بن الحسين بن علي، أما معاصرتة لـ "أحمد الراشدي" صاحب كتاب الثغر الجماني فإنه لم يذكر عنه أي معلومات تخصه⁽¹⁴⁾.

بتاريخ 29 من شهر رجب 1403هـ الموافق لـ 12/05/1983م، تم وضع الحجر الأساسي لإعادة بعث الزاوية من جديد وتم ذلك بحول الله، وفتحت الزاوية أبوابها من جديد وعمرها طلاب حفظه للقرآن، حيث وصل عددهم آنذاك إلى 60 طالبا، وحفظ القرآن عدد كبير في هذه المدة القصيرة، التي لم يقدر لها أن تعمّر طويلا، نظرا للأحداث المؤلمة التي سادت عشرية الدمار والتخريب، إذ تعرضت الزاوية بتاريخ 22/01/1997م على الساعة الخامسة وخمسين دقيقة 17.50 إلى النهب من طرف جماعات إرهابية حيث أخذ كل ما وجد فيها من كتب وأثاث وغطاء وأفرشه، وبذلك عادت الزاوية إلى نقطة الصفر مما يستوجب علينا إعادة الاعتبار لها بإعادة النشاط إليها من جديد وفق معايير علمية دقيقة.

تجدر الإشارة إلى أنه، منذ اختياري لموضوع البحث سنة 2006 م وأنا أحاول أن أقوم بزيارة إلى هذا المعلم الثقافي، ولكن في كل مرة أنصح بعدم الذهاب إلى هذه المنطقة لتواجدها في منطقة غابية معزولة، عرفت تواجد الإرهاب منذ أن بدأ هذا الداء ينخر جسد هذه الأمة، وبعد استتباب الأمن نوعا ما، جازفنا بزيارة ميدانية إلى هذا المعلم بتاريخ 2011/10/13م.

*الوصف الأثري:

نصل إلى الزاوية بواسطة طريق ثانوي يبعد عن الطريق المعبد بحوالي 2 كم، أول محطة هي الزاوية الجديدة التي تم بناؤها سنة 1986م في المكان الذي كانت تقام فيه صلاة العيد في الهواء الطلق، بعد أن هجر سكان الزاوية القديمة التي تبعد عن المكان السالف الذكر بحوالي 2 كم.

المسالك جد وعرة للوصول إلى الزاوية الأصلية، فهي تقع في منحدر شديد، بنيت على أرض وبقفة محاطة بمجموعة من الأشجار المثمرة (اللوز، التين، والعنب... الخ).

الزاوية عبارة عن مجموعة من الملاحق عددها ست (06) غرف توزعت على مساحة مستطيلة، يتم اللولج إلى المجموعة عن طريق مدخل صغير يقع في الجهة الجنوبية الغربية، على يساره يوجد مخزن الزاوية وهو عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل مقاساتها (2.59×3.64) م²، نلج إليها عن طريق مدخل مقاساته (1.70×0.90) م²، في الجدار الموجود على يمين المدخل أستحدثت كوة مستطيلة الشكل قربية جدا من السقف مقاساتها (0.22×0.25) م²، يلي هذه الغرفة شرقا مسجد الزاوية وهو عبارة عن غرفة مستطيلة مقاساتها (3.70×10.45) م²، يكتنفها مدخلين يبعدان عن بعضهما البعض بحوالي 4.89 م مقاساتهما على التوالي (0.97×2.3) م².

أما المحراب فيبعد عن الباب الأول بحوالي 1.86 م والباب الثاني بمساحة 3.2 م مقاساته: الارتفاع 2.7 م والعرض 1.5 م والعمق 1.10 م، المحراب ذو شكل نصف دائري مبني نوعا ما بطريقة غير خاضعة لمقاييس هندسية، فهو متسع في الأسفل ويبدأ في الانحصار كلما اتجهنا نحو الأعلى، وقوس المحراب هو الآخر غير متقن من حيث الاستدارة، مما يدل أن عملية البناء قام بها السكان المحليون الذين لم يتعرفوا بعد على التقنيات المعمارية السائدة آنذاك خلال الفترة العثمانية إذا ما قارنا بعض المحاريب التي وجدت ضمن مساجد الأحياء بالجهة الشرقية لمنطقة البويرة.

فتح في نهاية الجدار الشمالي للغرفة نافذة مشتركة بين غرفة الضريح والمسجد مقاساتها (0.82×0.63) م²، المسجد يتقدمه رواق مغطى يتركز على دعائمين مربعي الشكل من مادة الاسمنت، أضيفا مؤخرا أثناء تعرض الزاوية لعملية الترميم، الدعائمتان مقاساتهما (0.80×0.60) م² تحصران بينهما مسافة 3.60 م وتبعد عن كلا الغرفتين في الجهتين الشمالية والجنوبية بنفس المسافة.

على يمين المسجد توجد غرفة الضريح ذات الشكل المستطيل مقاساتها (3.85×4.5) م²، مدخلها الرئيسي يقع في الجهة الشمالية، يوجد بالغرفة قبر الولي "سيدي سليمان بن موسى" أحد شيوخ الزاوية والذي حدد بواسطة صفائح حجرية وضعت بشكل أفقي على كامل حدود القبر، في الجهة المقابلة للجامع

توجد غرفتان، الأولى حسب السيد "يحيى نقيب" كانت مخصصة لزوار من النساء والثانية عن مطبخ للزاوية، فغرفة النساء مستطيلة الشكل مقاساتها (3.70 x 8.90) م²، لفت انتباهنا وجود أشكال مثلثة بلغ عددها 17 شكلاً، عبارة عن تفويجات أحدثت بمادة القرميد النصف اسطواني وزعت بمعدل سبعة أشكال في الجدار المقابل للمدخلين (الصورة: 49) وشكلين أحدثا على الجدار الشمالي الذي فتح به أيضا نافذة غير مؤطرة مشتركة بين المطبخ وغرفة النساء مقاساتها (0.75 x 1.15) م² في حين بلغ السمك حوالي 0.45 م .

المطبخ عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل مقاساتها (3.82 x 5.22) م²، نلج إليها عن طريق مدخل مقاساته (0.85 x 1.95) م² استحدث في الجدار الشمالي للمطبخ نافذة مربعة صماء مقاساتها (0.72 x 0.40) م²، كما استحدث في الجدار الشرقي للغرفة نافذة مربعة صماء أخرى مقاساتها (0.65 x 0.40) م² تقريبا تقايس النافذة المقابلة لها .

لما تساءلنا عن غرف مبيت الطلبة زدونا السيد "طرفاني سليمان" من مواليد 1942 م وهو عضو سابق بالجمعية بأن الطلبة المتدربين بالزاوية كانوا يقومون ببناء ما يسمى باللهجة المحلية بالعشة التي يتم بناؤها بواسطة القصب والديس، تتسع العشة لأكثر من طالبين⁽¹⁵⁾ .

أما عملية تمويل الزاوية فتمت عن طريق الحبوس وجمع المواد الغذائية من الدشور المجاورة وفي جميع الأوقات حسب الحاجة خاصة عند حلول موسم عاشوراء .

مواد البناء عبارة عن مادة الطوب المخلوطة بمادة التبن، بنيت بهما الجدران، في حين تم تسقيف الزاوية بقرميد حديث بعد أن كان مغطى سقفها بمادة الديس حسب السيد "طرفاني سليمان" أما التسقيف الداخلي فحاليا عبارة عن أعمدة مختلفة الأحجام والأشكال .

على بعد 2 كم صعودا إلى أعلى الهضبة يوجد ضريح "سيدي علي بن دحمان" أحد شيوخ زاوية قرومة .

ج- زاوية الرابطة :

تقع زاوية الرابطة في قرية الرابطة الواقعة أعالي سفح من سفوح جبل بقاس من الناحية الجنوبية على بعد نحو 09 كم عن مستوطنة تيار (قادرية حاليا)، وزاويتها تعتبر من أقدم الزوايا بالمنطقة، يمكن أن تكون بداياتها الأولى مع نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر الميلادي⁽¹⁶⁾ .

*الجانب التاريخي:

لعل المؤسس الأول للزاوية بالمنطقة هو الشيخ "محمد بو العشرة بن عبد الرحمان"، الذي قدم من الساقية الحمراء منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بعد هجرة العديد من الناس للساقية الحمراء ووادي الذهب هروبا من وجه السلطان المريني ابن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة 636هـ / 1283م، الذي أراد أن ييسر نفوذه على المنطقة فاضطرت العائلات المقيمة هناك إلى الفرار من بلادهم باتجاه الشمال الشرقي، وعندما وصلت تلك العائلات إلى ضفتي وادي يسر، اشتروا الأراضي هناك واستقروا بها، وعلى كل فانه بالرغم من الشهرة التي كانت لها في المنطقة، إلا أنها لم تبلغ درجة زاوية قرومة⁽¹⁷⁾.

كانت الزاوية تستقبل الطلبة من مختلف جهات الوطن، حيث كانوا يجدون بها المأوى والمأكل والشيوخ الذين يقومون على تحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم فقه الدين واللغة، فيما كان يعرف يومها بسيدي خليل وألفية بن عاشر، من بين أولئك الطلبة الذين درسوا لسنوات عديدة بزاوية الرابطة واشتهروا فيما بعد بورعهم وعلمهم وتكويدهم للعديد من طلبة العلم ومشايخ القرآن الكريم نذكر منهم السيد "عبد القادر قديري" المعروف باسم الشيخ الحمامي، الذي أسس زاوية سنة 1880م بشرفة الحمام، بلدية معالة، والشيخ ابن عامر الذي أسس زاويته في ذراع الكرمة، قرية أولاد بلفضيل حوالي سنة 1920م⁽¹⁸⁾.

*الوصف الأثري:

هذه الزاوية تقع في مرتفع بقرية الرابطة، نصل إليها عن طريق فرعي، متكونة من غرفتين، ترتفع الواحدة عن الأخرى ب 0.53م، لكليهما نفس المقاييس.

المبنى كما ذكرنا سابقا عبارة عن غرفتين أصليتين قديمتين يقابلهما غرفتين بنيا حديثا بالاسمنت، مقاسات إحدى الغرفتين الأصليتين (3.55 x 4.20) م²، نلج إلى كليهما بواسطة مدخل (الصورة: 52)، ارتفاعه 1.45م وعرضه 0.93م، زودت هذه الغرفة بسدة في الجدار المقابل ليمين المدخل، ارتفاعها عن مستوى الأرض 1.72م، سمكه حوالي 0.50م، الجدار المقابل للمدخل زود بكوة توسطت الجدار، ما لفت انتباهي وجود كوتين متناظرتين بالنسبة للمدخل في الجدار الخارجي للمبنى، ربما كانتا تستعملان لوضع

الشموع لإنارة المساحة أمام مدخل الزاوية، كما بني على طول الجدران الخارجية للزاوية مجلس ارتفاعه 0.40م وعرضه 0.60م .

أما السقف من الداخل، فهو عبارة عن نسيج من القصب و الحص وأعمدة خشبية، أما من الخارج فهو عبارة عن قريد حديث. أسعمل حديثا خردل عملية ترميمية خصت بها الزاوية. مواد بناء الزاوية ، خليط من التراب والأحجار المختلفة الأحجام والجيس.

الجدير بالذكر أن المنطقة حاليا شبه مهجورة ،بسبب العشرية السوداء، فالمكان يوحى بوحشة ورهبة كبيرين، حيث لم يعد مقصدا للناس، خاصة لزوار الزاوية مثل السابق، مما جعل الزاوية عرضة للانحيار، وإذا استمرت على هذا الحال، فمع مرور الزمن ستؤول إلى الزوال لا محالة.

- التحليل المعماري:

تنقسم الزوايا من حيث تصميمها المعماري في الغالب إلى ثلاثة أصناف، الجامع الزاوية و الخانقاه، والمدرسة الزاوية والقبّة الزاوية، غير أن هذه الأصناف لا توجد بينها فوارق كبيرة، فبناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة، فهي غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل⁽¹⁹⁾، وإلى الطراز الأخير تنتمي زوايا منطقة البويرة أي إلى طراز القبّة، فالنماذج المدروسة جميعها ملحقة بضريح لشيخ الزاوية، إضافة إلى المرافق الأخرى كالمطبخ، غرف لمبيت الطلبة، غرف لتدريس القرآن وغرف لتخزين المئونة التي تحصل عليها الزاوية من خلال ٠٠ يجلبه المحسنين وزوار المكان، خاصة خلال عاشوراء الذي يتم من خلاله جمع الزكاة بمختلف أنواعها، حيث نجد أمثلة لهذا النوع بزاوية خنقة سيدي ناجي وخلوة عبد الرحمان الاخضري وضريح سيدي خالد⁽²⁰⁾ .

ما لاحظناه خلال الدراسة الميدانية لزوايا منطقة البويرة هو أن بعض الزوايا جاءت مرافقها منفصلة عن قبّة الضريح، فهي عادة ما تبعد عنه بموالي ثلاث إلى أربع أمتار .

أما زاوية سيدي خالد فالضريح موجود على محور واحد مع مرافق الزاوية، حيث تعتبر غرفة الضريح الغرفة الوحيدة التي عني المعمار بزخرفتها بمادة الزليج.

إن ظاهرة إلحاق الأضرحة بالزوايا عرفتها بلاد المغرب خلال العصر العثماني، حيث كانت الأضرحة هي النواة الأولى التي بنيت حولها الزوايا، ولقد انتشر هذا النوع بالمغرب الأقصى، نجد له أمثلة بالزاوية الجزولية بمراكش التي نشأت حول ضريح بناه السلطان "السعدي أحمد الأعرج" على رفاة والده محمد القائم والشيخ الجزولي، ونفس التقليد كان بأغلب زوايا تونس، كما هو الحال في زاوية سيدي بوعلي وزاوية سيدي مسعود وزاوية سيدي الحياض⁽²⁰⁾.

من بين الطرق الصوفية التي اتبعتها جميع زوايا المنطقة هي الطريقة الرحمانية التي تعتبر من الطرق الصوفية التي انتشرت بشمال إفريقيا خاصة في الجزائر.

إن المميزات العامة للزوايا بمنطقة البويرة يمكن أن نجملها فيما يلي:

- عدد النماذج الباقية إلى يومنا هذا ستة نماذج، اخترنا ثلاث نماذج لأهميتها التاريخية والمعمارية
- كل الزوايا احتلت مواقع إستراتيجية، حيث بنيت فوق هضبات مرتفعة، شأنها شأن الأضرحة لأن هذه الأخيرة تبنى في مكان يختار من طرف شيخ الزاوية بعيدا عن الضوضاء.
- عمارة الزوايا عمارة بسيطة تتماشى ووظيفتها، بنيت بمواد محلية بسيطة، فهناك زوايا وجدت بها مرافق ضرورية كالمسجد، مثلما وجدناه بزاوية قرومة و زاوية سيدي خالد.

هوامش البحث:

* تقع منطقة البويرة (ولاية البويرة حاليا) في وسط البلاد، إذ تعتبر همزة وصل بين الشرق والغرب، الشمال والهضاب العليا وذلك

بواسطة الطريق الوطني رقم 05 (الجزائر-قسنطينة) والطريق الوطني رقم 18 (سور الغزلان- بوسعادة) وطريق السكة الحديدية

الذي يربط الجزائر بقسنطينة، يحدها:

من الشمال: ولايتي بومرداس وتيزي وزو

من الجنوب الغربي: ولايتي المسيلة والمدية

من الغرب: ولايتي البليلة والمدية

من الشرق والجنوب الشرقي: ولايتي بجاية وبرج بوعريرج.

تربع على مساحة 4456.48 كلم²، يغلب عليها الطابع الجبلي .

وحسب التقسيم الإداري التأسيسي من الأمر رقم 69/74 المؤرخ في 1974/07/02م الخاص بالتنظيم الإداري المكرر

للولايات، تم تقسيم ولاية البويرة التي دخلت إطارها الجغرافي جزء من أراضي المدية وتيزي وزو إلى اثنا عشرة (12) دائرة و45

بلدية. /عن أرشيف مديرية التعمير لولاية البويرة.

** إن هذه الناحية لها مكانة هامة في تاريخ إفريقية، حيث لعبت أدوارا في التاريخ الحضاري والاقتصادي والثقافي بفضل

موقعها، احتلتها قبائل صنهاجة واجلوا سكانها الأصليين الذين كانوا ينتمون إلى الخراطين والسود، وصلها الإسلام مع كتائب

عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية حوالي 62هـ... انظر: المهدي البوعبدلي، "ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء

وحاضرنا"، مجلة لأصالة، العدد 32، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، الجزائر، 1976م، ص

(2) ورقة مخطوط منحت لنا من طرف السيد "العارفي حسين" أحد أحفاد الولي الصالح سيدي خالد، أنظر ملحق الوثائق في

هذا البحث، ص ص 472، 473

(3) G. BOURJADE, « l'histoire de l'occupation française dans la région d'Aumale, 1845-

1887 » R. Africaine, n°33, 1889, pp 291, 292

(3) هذه المعلومات أدلى بها السيد "كمال بلعسل" رئيس مصلحة بمديرية الشؤون الدينية لولاية البويرة بتاريخ

2010/04/03م، وهو حاليا مدير الشؤون الدينية لولاية ورقلة.

(4) عزوق (عبد الكريم)، المعالم الأثرية الإسلامية ببحاية ونواحيها، دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة

الجزائر، 2007/2008م، ص 61

(5) ص 43

***أخذ هذا الاسم على شرف انتصار الجيش الفرنسي تحت الإمبراطور نابليون الثالث المحالف لجيش piémont

San-daigne تحت الملقب "فيكتور إيمانويل" صد الجيش النمساوي في قرية باليسطرو بإيطاليا، وذلك سنة 1859م (مقاطعة

لامبارديا)، انظر: أحمد مازوني، التاريخ الإداري لبلدية باليسترو (الأخضرية حاليا)، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر

2004م، ص 16

(6) المهدي البوعبدلي، "نبذة تاريخية عن ولاية تيزي وزو"، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، المجلد

05، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975م، ص 226

7) Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, senatus ;consulte du 22

avril, 1863, décret du 12/octobre/1868 ترجمه إلى العربية السيد "محمد وقاد" نائب رئيس الجمعية

الدينية "أرام" قرينة مع لنا نسخة منه بتاريخ 2011/10/13 .

(8) علي بن خروف، "زاوية قرومة وأعلامها"، محاضرات الملتقى الأول لأعلام البويرة، مديرية الشؤون الدينية، 27/26

، أبريل، 2005م، ص 120

(9) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500- 1830)، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص 427

(10) وقاد احمد ، رئيس جمعية قرومة 2005/04/14م، وهو بدوره اخذ المعلومات عن مخطوط موجود لديه في البيت

(11) وقاد احمد ، المرجع السابق

(12) حمدان خوجة ، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق العربي الزبيري ، ط 2، المؤسسة الوطنية للفنون وحدة رعاية ،الجزائر

، 2005م، ص 58

(13) أحمد وقاد ، المرجع السابق

(14) محمد الصالح بجاوي، القايد والقذاف ورفاقهما في الكفاح 1954م-1962م، ط1، دار الجائزة، 2009م، ص

250

(15) يحيى نقيب، رئيس جمعية سابق وعضو بالجمعية الدينية لزواوية قرومة (مسجد محمد بن عبد الرحمن)، الزيارة الميدانية

بتاريخ 2011/10/13م

(16) محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص 271

(17) نفسه، ص 273

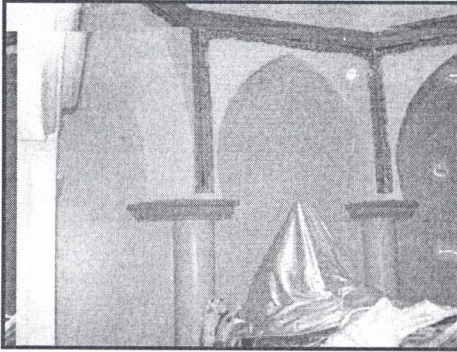
(18) نفسه، ص 273

(19) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 269

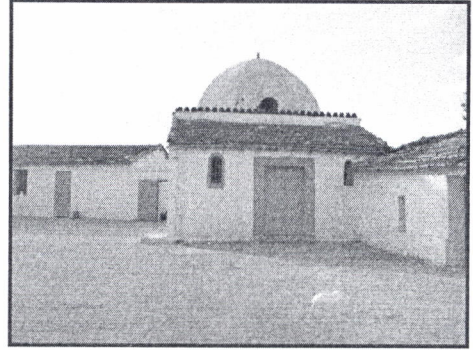
(20) نفسه، ص 268

(21) دحدوح (عبد القادر)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

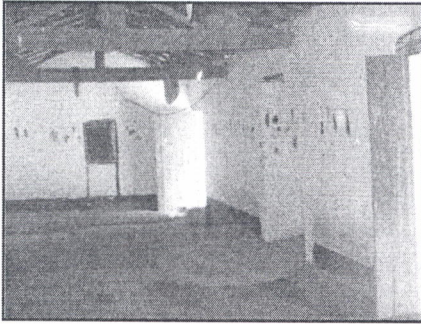
العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010/2009م، ص 525



قاعة ضريح سيدي خالد



منظر عام لزاوية سيدي خالد



مسجد زاوية قرومة



منظر عام لزاوية قرومة



منظر أمامي لزاوية الرابطة



منظر خلفي لزاوية الرابطة

قائمة المراجع:

أ- المراجع باللغة العربية:

- بجاوي (الصالح محمد)، القايد والقذاف ورفاقهما في الكفاح 1954م-1962م، ط1، دار الجائزة، 2009م

- خوجة (حمدان)، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق العربي الزبيري، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون وحدة رعاية، الجزائر، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م

- مازوني (أحمد)، التاريخ الإداري لبلدية باليسترو (الأخضرية حاليا)، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2004م

*المجلات:

- البوعالي (المهدي)، "ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرهما"، مجلة لأصالة، العدد32، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، الجزائر، 1976م

*الرسائل الجامعية:

- دحدوح (عبد القادر)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010/2009م.

- عزوق (عبد الكريم)، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007م.

*الملفات:

- البوعبدلي (المهدي)، "نبذة تاريخية عن ولاية تيزي وزو"، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، المجلد 05، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975م

- بن خروف (علي)، "زاوية قرومة وأعلامها"، محاضرات الملتقى الأول لأعلام البويرة، مديرية الشؤون الدينية، 27/26، أفريل، 2005م.

*روايات شفوية:

- "العارفي (حسين)" أحد أحفاد الولي الصالح سيدي خالد.
- بلعسل (كمال) رئيس مصلحة مديرية الشؤون الدينية لولاية البويرة.
- نقيب (يحيى)، رئيس جمعية سابق وعضو بالجمعية الدينية لزواوية قرومة (مسجد محمد بن عبد الرحمان) ،الزيارة الميدانية بتاريخ 2011/10/13م.
- وقاد (احمد)، رئيس جمعية قرومة 2005/04/14م، وهو بدوره اخذ المعلومات عن مخطوط موجود لديه

في البيت

ب-المراجع باللغة الفرنسية:

- Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie ,senatus ;consulte du 22 avril,1863,décret du 12/octobre/1868
- G.BOURJADE, « l'histoire de l'occupation française dans la région d'Aumale ,1845-1887 » R. Africaine, n°33, 1889, pp 291,292